المبحث الأول
الطرق الصوفية ومقاومة العلمانية الكمالية

مثلت الطرق الصوفية القاعدة الاجتماعية للدولة العثمانية في بدايات تكوينها، وظلت هذه الطرق مع تبلور مؤسسات الدولة تعبر عن الإسلام الشعبي متوازية مع الإسلام الرسمي تعبيراً عن الطبيعة التعددية للدولة العثمانية[1] التي لم تكن تحتكر لنفسها الإسلام لتتحدث باسمه وحدها، ومن هنا سمحت للتعبيرات الدينية الإسلامية الأخري مثل المذاهب الفقهية غير الحنفية والفرق غير السنية مثل المذهب الشيعي والطرق التي تعبر عن الإسلام الشعبي بتقاليده الخاصة والتي تختلف بالضرورة عن الإسلام الرسمي الذي تبنته الدولة.

(1) عن الصوفية وعمق تغلغلها في المزاج التركي وتعبيرها عما يعرف بالإسلام الشعبي راجع: محمد فؤاد كوبريللي، **المتصوفة الأوائل في الأدب التركي**، ترجمة عبدالله أحمد إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلي للثقافة، المشروع القومي للترجمة، (جزءان) الأول برقم 348 والثاني برقم 371 وكلاهما مطبوع عام 2002، وهو يشير إلي أن الصوفية عبرت عن الفوران الشعبي لحركات الطرق في منطقة الأناضول في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادي، وكيف أنها مثلت ملجأ للجماهير من القلق السياسي والاضطراب الاجتماعي، واضطر الحكام في الدولة السلجوقية إلي أن يتواصلوا مع شيوخها لاستيعاب خطرهم وشعبيتهم من أن تمثل تحدياً لهم، كما أن الشخصية القومية التركية عبرت عن نفسها باستقلال عبر أدب أحمد يسوي ويونس أمره وغيرهما، وتواكب الاكتساح الصوفي أو الإسلام الشعبي مع ظهور الدولة العثمانية التي عبرت عن الإسلام الرسمي الذي عبر عن محاولة لتخفيف العوامل المهرطقة في الإسلام الشعبي الصوفي، وعبرت التقاليد التركية ماقبل الإسلام عن نفسها في الصوفية، وتبني القصر السلطاني الأدب والفن الصوفي حيث لا تزال موسيقي القصر الصوفية هي أهم التعبيرات الفنية لتركيا وكذلك موسيقي المهتر التي كانت تسبق الجيوش العثمانية وبينما عبرت الأولي عن العشق والإلهام والوجد والذوبان فإن الثانية عبرت عن روح الفداء والتضحية والقتال، فالإسلام التركي المعاصر هو مزيج قوي لا يمكن فصمه بين التقاليد الصوفية وروح الشريعة والشخصية القومية التركية قبل الإسلام.

وكما هو معلوم فإن معظم سلاطين الدولة كانوا يؤيدون الطرق الصوفية كتعبير عن الإسلام غير الرسمي وانتمي الكثير منهم لهذه الطرق، ومع تشجيع السلاطين لهذه الطرق انتشرت في قطاعات مهمة بين العثمانيين مثل التجار والحرفيين بطوائفهم المختلفة، بحيث تداخلت الحرف مع الانتماء لطرق صوفية معينة كانت تمثل الإطار الأخلاقي الضابط للمنتسبين إليها، وحين كان " أتاتورك " يخوض معركة صراعه مع الخلافة الإسلامية ومعركته للتحرير فإنه تملق الطرق الصوفية وخاصة " النقشبنديه " التي شاركت علي نطاق واسع في حروب ومعارك التحرير معه ولذا فإن دستور 1924 ترك الطرق الصوفية حرة بدون أية قيود.

وفي أغسطس عام 1925 ألقي خطاباً في مدينة " قسطموني " التي تنتشر فيها الطرق الصوفية وقال " إن طلب العون والمساعدة من قبور الأموات صفعة علي جبين المجتمع الإنساني المتحضر.. يجب أن تتعلموا أيها السادة أنتم وأفراد أسركم، وعلي الأمة التركية بأسرها أن تعلم أن الجمهورية التركية العلمانية لا يمكن أن تكون بعد اليوم أرضاً خصبة للمشايخ والدروايش وأتباعهم من أصحاب الطريقة، وإذا كان هنالك من طريقة حقيقية فهي طريقة الحضارة المبنية علي العلم.. وعلي مشايخ الطرق أن يفهموا هذا الكلام بوضوح وبالتالي يغلقوا زواياهم وتكاياهم عن طيب خاطر وإلي الأبد قبل أن أدمرها فوق رؤوسهم " [1].

وعقب عودته استصدر عددا من القوانين استهدفت الطرق الصوفية بالمنع والحظر ومن أهم هذه القوانين:

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، القاهرة: جواد الشرق للنشر والتوزيع الطبعة الأولي 1421ه - 2001 م، ص 46 - 47.

1- إغلاق الزوايا والتكايا الموجودة بالدولة سواء أكانت وقفا أو ملكاً لمشايخها.

2- إلغاء كل أنواع الطرق وألقاب مشايخها ودراويشها والأعمال التي يقومون بها للجمهور.

3- حظر الملابس والأزياء التي تدل علي الطرق وصفاتها وتنويعاتها.

4- إغلاق جميع المزارات وقبور الأولياء والسلاطين ومشايخ الطرق.

5- الحكم علي من يخالف هذه القرارات بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر وغرامة لا تقل عن خمسين ليرة.

6- تحويل جميع ممتلكات الزوايا والتكايا من الأساس إلي متاحف الدولة[1].

وتضمن قانون العقوبات التركي مايفيد تجريم تأسيس أو تشكيل أو تنظيم أو إدارة أي جمعية علي أساس ديني أو عقائدي يخالف العلمانية أو يخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي كما يعاقب كل من ينتمي لهذه الجمعيات أو يدعو إلي الانضمام إليها أو يعمل دعاية لها أو يستغل الدين كأداة سياسية، كما أن النشر أو المساعدة في النشر لمواد تخل بالعلمانية هي جرائم يعاقب عليها القانون[2].

(1) راجع: هدي درويش، **الإسلاميون وتركيا العلمانية**، نموذج الإمام سليمان حلمي، تقديم الدكتور محمد حرب، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1418هـ - 1998، ط1، ص 114 - 115.

(2) يشير الدستور التركي العلماني إلي أنه كحكم ثابت استحالة تطبيق القواعد الدينية ولو جزئياً في كيان الدولة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والقانوني، كما لا يجوز إطلاقا لأي أحد أن يسيء استخدام المشاعر الدينية وقيمها المقدسة بغرض تحقيق مآرب سلطوية أو سياسية أو مصلحة

- لجأت الطرق الصوفية في دفاعها المستميت عن هويتها ووجودها إلي العمل السري وأصبحت أكثر تسيساً وعنفاً بشكل لم تعرفه في كل تاريخها، كما هو الحال بالنسبة للطريقة " النقشبندية " والتيجانية " و " السليمانية و " المولوية " والرفاعية، والقادرية والشاذلية والخلوتية والجراحية والملامتية وغيرها من الطرق التي كانت تغص بها الدولة العثمانية[1].

- مثلت المواجهة الكبيرة الأولي بين الدولة والشيخ سعيد الكردي النقشبندي في فبراير 1925 أحد أخطر التحديات التي واجهتها الدولة الكمالية، فهي أكبر انتفاضة للأكراد التي تعرضت هويتهم للتهديد **واستندت إلي النقشبندية كطريقة صوفية وهي التي عبرت عن الإطار المرجعي الفكري للحركة والذي استخدم في التعبئة والحشد والدعاية واستخدام الرموز،** وكما تشير أحد الدراسات عن الحركة فإنه لا يمكن

شخصية، ويشير قانون العقوبات التركية في مادته 163 إلي أنه يعاقب كل من يؤسس أو يشكل أو ينظم أو يدير جمعية بهدف ديني أو عقائدي تخالف علمانية الدولة وتخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو القانوني بالسجن من عامين إلي سبعة أعوام ويعاقب كل من ينضم أو يحرض الآخرين بالانضمام إليها بأقل من ستة أشهر.. وكل شخص يقوم بدعاية بهدف زعزعة الأسس العلمانية بأي شكل من الأشكال أو استغلال الدين كآلة سياسية يعاقب بالحبس من عام إلي خمسة أعوام وكل من يقوم بنشر أوالمساعدة في نشر ما يخل بالعلمانية يعاقب بالسجن من ستة أشهر إلي عامين وراجع كتاب تركيا 2002، إعداد وكالة " تورك خبر لر، ونص الدستور التركي باللغة الإنجليزية

.The Constitution OF The Repuplic of Turkey, Ankra: 1995, 2Print, Article 24.

(1) تحولت الطرق الصوفية إلي الهجوم علي الدولة الكمالية واعتبارها عدواً للإسلام واتخذ فعلها المدافع طابعاً سياسياً وعنيفاً من الناحية الحركية والرمزية وراجع باللغة الإنجليزية:

Cemal Kafader, The New Visibility Of Sufism in Turkish Studies and Culture Life in Raymond litchez(ed) , TheDervish Lodg: Architecture, Art and Sufism in Ottoman Turkey, Berkeley: University of California, 1992, p. 21 - 25.

إغفال أن العامل الديني كان أحد أبرز العوامل في قيامها، فلقد اعتبر قادة الحركة أن إلغاء الخلافة هو أحد أسباب المروق علي الدين، كما كان إلغاء نظام الخلافة الوراثي في الطريقة النقشبندية والتي كان ينتمي إليها معظم علماء الدين في كردستان تركيا أثر كبير في تأجيج نار الحقد علي الحكومة التركية واتهامها بالابتعاد عن الدين، كان برنامج الحركة وشعارها المعلن هو إعادة الاعتبار إلي الدين وحكم الشريعة وتنصيب سليم أفندي أحد أبناء السلطان عبدالحميد سلطانا وخليفة[1].

وبعد المواجهة الكمالية مع النقشبندية والقبض علي الشيخ سعيد وإعدامه في إبريل 1925 م، قامت حوادث متعددة ذات طابع فردي ضد الكمالية خاصة رفض لبس القبعة وأعلن أحمد حمدي النقشبندي نفسه خليفة للشيخ سعيد.

وفي أرضروم هاجم الأهالي مبني المحافظة تحت قيادة " خوجة عثمان " النقشبندي وقامت حوادث مماثلة في مرعش وكيره سون، وفي سنة 1930 هاجم الشيخ " محمد النقشبندي " قصبة منمن " وسيطر عليها ورفع البيرق النبوي وقتل ضابطا تصدي له، وقبض عليه ثم مات مسموما في السجن، وفي عام 1935 م قامت ثلاث انتفاضات نقشبندية مرة واحدة.

وفي الأربعينيات والخمسينيات ظهر نشاط الطريقة التيجانية ذات الطابع الصدامي مع الدولة حيث قام التيجانيون بتحطيم تماثيل " كمال أتاتورك " وقبض علي زعيمهم " الشيخ كمال بلاو أوغلو " رجل

(1) إبراهيم خليل العلاف، خارطة الحركات الإسلامية المعاصرة في تركيا علي موقع:
www. alwatanvoice. com/pulpit. php?go=articles&id=34756

الأعمال الضليع في القانون سنة 1950وحكم عليه بالسجن عشر سنوات.

وفي فبراير 1954م ألقت السلطات الكمالية القبض علي سبعة عشر من شيوخ الطريقة النقشبندية في ماردين وحاكمت شيخ الطريقة المولوية في يونية 1950 م وشيخ القادرية في مارس سنة 1951 م كما قبضت علي جماعة من الطريقة البكتاشية(2).

وبدءاً من الستينيات انتقلت الطرق الصوفية من السرية إلي العلنية وأصبحت جزءاً من الحركة الإسلامية في تركيا، بل إنها أصبحت جزءاً مؤثرا في الحياة السياسية يأخذها السياسيون والأحزاب في تقديرهم لأسباب متصلة بالحصول علي أصواتهم الانتخابية، **لكن الطرق الصوفية نأت بنفسها عن ممارسة العمل السياسي المباشر باعتبار أن العمل الاجتماعي والدعوي والأخلاقي هو مجال فعلها** الأساسي وحتي لا تدخل في مواجهة مع الدولة تكشف بنيتها التنظيمية فهي محظورة بحكم القانون. واتسم الوجه الصوفي للإسلام في تركيا بعدائه للعلمانية وللغرب معا واتخذ الطريق التربوي والدعوي والسلوكي والاجتماعي والتعليمي الثقافي والاقتصادي مجالاً لفعله من أجل ما يمكن وصفه باستراتيجية " **اختراق للنظام العلماني المعادي للشريعة من أسفل ".**

وتمتاز الطرق الصوفية ببنيتها التنظيمية القوية التي تستند إلي مفهوم الطاعة والعلاقة الصارمة ذات الطابع الروحي بين الشيخ والمريد،

(2) عن المواجهات بين الدولة والطرق الصوفية راجع: محمد نورالدين، **قبعة وعمامة** مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، بيروت: دار النهار، 1997، ط1، ص 38 - 39 وأيضا إبراهيم الدسوقي شتا، الحركة الإسلامية في تركيا 1920 - 1980 القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ص 65 وما بعدها وأيضا الحركة الإسلامية في تركيا حاضرها ومستقبلها، دراسة حول الصراع بين الدين والدولة في تركيا، عمان: دار البشير، 1992 ص 29، ص 42.

وتنتشر الطريقة بين الجمهور عبر الدعوة إليها ونقل تقاليدها من جانب المريدين الذين بلغوا مرحلة الإجازة وفي تركيا تبدو الطريقة الوعاء الروحي لممارسة الشريعة بحيث نجد ارتباطاً لا ينفصم بين الطريقة والشريعة، **فكل مسلم في تركيا لديه طريقة ومذهب لممارسة دينه**، وربما يكون ذلك أحد تجليات نزعة النظام الحادة وقوة التقاليد وعمقها في الثقافة التركية[1].

ويقدر تقرير للمديرية العامة للأمن في تركيا أن عدد مراكز الطرق الدينية في مدينة اسطنبول وحدها قد ارتفع من 307 مركزاً عاماً 1991 م إلي 560 عام 1996 فيما بلغ عددها في أنقرة نحو 130 مركزا، وتمثل الطرق الصوفية شبكة اجتماعية ذات طابع مدني تعاوني تمثل سقفا من الحماية للطبقات الفقيرة والمحرومة من الحرفيين والعمال والطلاب الذين لم يكملوا تعليمهم والطبقات الوسطي الدنيا، **وتعرف الطرق الصوفية حضوراً قوياً حول أحزمة الفقر وأكواخ الصفيح** Gecekondu **التي تحيط بها ولا سيما في اسطنبول**[1]، كما تعرف الطرق نفوذاً قوياً في مناطق شرق تركيا حيث يتضاءل وجود الدولة المركزية هناك بسبب الاضطراب الأمني الناشئ عن المشكلة الكردية.

أولا: الطريقة النقشبندية:

(1) عن الثقافة التركية ونزعة التقليد والنظام القوي داخلها راجع: كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2002، ط1، ص 229 - 237، وغالب الزعماء السياسيين لهم ارتباطات قوية بالطق الصوفية وعلي سبيل المثال فإن أربكان نقشبندي وتورجوت أوزال نقشبندي وكوركوت أوزال نقشبندي وعدنان مندريس كان وثيق الصلة بالنورسية وكان يراسل أحد مشايخها مراسلات خاصة يقول له فيها: أقبل يدكم وكان ذلك ضمن أسباب إعدامه من قبل انقلابي عام 1960 وعن الواقعة الأخيرة راجع النعيمي، الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 103.

(1) محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركات الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 37 .

نسبة إلي محمد بهاء الدين البخاري النقشبندي وهي أقدم الطرق الدينية في تركيا وأكثرها انتشاراً، ويقدر عدد منتسبيها بأكثر من 2 مليون نسمة، وهم يرفضون الذكر الجهري ويهتمون بالذكر الخفي وهم يرفضون الرقص والسماع ويهتمون بالصحبة مع الشيخ والإخوان، وهم يتبعون السنة ويعرفون الطريقة بأنها كنز والشريعة مفتاحه لذا معرفة الشريعة أي قواعد الإسلام ومبادئه الظاهرة هي شرط الالتحاق بالطريقة لأن جهل الشريعة قد يوقع في البدع والخرافات(2).

والنقشبندية تأثرت بالحركة التي بدأت مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا ولذا فهي علي وعي بقضايا الإسلام المعاصرة وإن كانت جماعة تقليدية، وربما هم يرفضون وصفهم بالتأثر بهذه التيارات التجديدية وقد يقولون إنهم سلفيون ونحن صوفيون، ولكن التعمق في آرائهم ووضعهم السياسي يكشف تأثرهم بهذه الحركات التجديدية كما يكشف أنهم تعبير عن حركة عقلانية في فهم الدين.

وتأثراً بتفسيرات المنار التي قدمها " محمد رشيد رضا "، هناك نزعة تأويل واسعة عندهم، **وهم يهتمون بالوجه الدنيوي للإسلام مثل الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية والعسكرية**، وهم يقولون " لو أحسن المسلم علاقته بالله سوف تتحسن علاقاته الأخري مع المجتمع والدولة "، هم تأثروا بالأطروحات التي قدمتها الحركات الإسلامية التجديدية بعد انهيار الخلافة وبعد ظهور الدولة القومية.

(2) ولد عام 717 هـ - وتوفي عام 791 هـ والنقشبندي كلمة مركبة من العربية والفارسية وتعني نقش محبة الله في قلوب المنتسبين للطريقة بالذكر الدائم، وقد وقعت علي كتاب كبير عن النقشبندية كتبه تركي، فريد الدين آيدن، الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها علي موقع: www.saaid.net/book.4/777.doc. ومن كتبه أشار إلي أنه من السلفيين الأتراك ولهم موقع: www.ikraislam.com.

- النقشبنديون أصوليون يقدسون الدولة الإسلامية أكثر مما ينبغي وهم في ذلك مثل الحركات الإسلامية يقولون " نبدأ من الدولة - فهم إسلاميون بهذا المعني - والنقشبنديون المعاصرون لهم جريدة اسمها " SAGDUYU " صاغ دويو " أي الرأي السديد بالتركية، ومعظم النقشبنديين يؤيدون حركة " الملي جورش " التي أسسها " أربكان " **وفي الانتخابات النيابية الأخيرة التي جرت في نوفمبر 2002 م أيدت أكبر جماعة نقشبندية حزب السعادة** ولم تؤيد حزب العدالة والتنمية وهم يؤيدون حركة " الملي جورش " - أي الفكر الملي - لأنهم يرونه أقرب لإقامة الدولة الإسلامية[1].

و تتفرع الطريقة النقشبندية في تركيا إلي عدة أفرع أهمها:

1 - جماعة اسكندر باشا:

أسسها الشيخ " محمد زاهد كتكو " واتخذ جامع " اسكندر باشا " في اسطنبول مقراً للجماعة منذ عام 1958 م، وهي صوفية نقشبندية وشيخ الجماعة بعده اسمه " أسعد جوشان " صهره وزوج ابنته، خرج من تركيا بعد سقوط حكومة أربكان في 28 فبراير 1997 م وله جماعة تتبعه في استراليا ولكنه توفي هناك في حادث سيارة أوائل عام 2002 م، **ويترأس الجماعة اليوم ابنه " محمد " وهذه الجماعة كان لها أنشطة مهمة جداً وكثير من المثقفين الأتراك عملوا معها وكتبوا في مجلتهم " إسلام " ومجلة " العلم والفن ". ويقدر توزيع " مجلة إسلام " بأكثر من مائة**

(1) نحن مدينون بهذه المعلومات الثمينة عن الطرق الصوفية بتركيا والتي تنشر للمرة الأولي بهذا التفصيل والاستقصاء باللغة العربية للباحث التركي " عمر توقات " الذي التقيناه في اسطنبول في شهر اكتوبر عام 2003 م، وسوف نحيل دائماً إليه بخصوص هذه المعلومات بالإشارة إلي حوار الباحث مع عمر توقات.

ألف نسخة[2].

يتمركز هؤلاء في مسجد " اسكندر باشا " الذي تسمت الجماعة باسمه، والشئ المهم في هذه الجماعة هو **أن الشيخ " محمد زاهد كوتكو " هو شيخ " تورجوت أوزال "** رئيس وزراء تركيا ورئيس جمهوريتها فيما بعد وهو - أي أوزال - من مريدي الشيخ وأخوه الكبير " **كوركوت أوزال** " هو أيضاً من مريدي الشيخ، كما أن بعض السياسيين في " الملي جورش " هم من مريدي الشيخ " محمد زاهد كوتكو " الذي يتمتع بتأثير كبير في أوساط النخب المثقفة والنخب السياسية الإسلامية وهو الذي وجه الكثير منهم للعمل السياسي **وتأسيس حركات إسلامية لها طابع سياسي وعلي رأسهم " أربكان "** نفسه فالمعلومات التي حصلنا عليها من مصادر موثوقة تشير إلي أن " أربكان " استشار الشيخ " محمد زاهد كتكو " قبل أن يعلن حزبه الأول " النظام " عام 1969م[1]. وهو عالم متمكن كان يهتم بقراءة الحديث فيفتح

(2) عن أهمية هاتين المجلتين راجع: جلال معوض، **الإسلام والتعددية في تركيا 1983 - 1991**، القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، يوليو 1994، ص 50 حيث يشير إلي أن توزيع صحيفة " إسلام " 100 ألف نسخة وأن إصدارها بدأ في أنقرة عام 1983 م وانتقل مركزها إلي اسطنبول وتنتشر مكاتبها وفروعها في قونيا وأزمير وأرضروم وقيصري وسيواس وبورصة، وصحيفة العلم والفن وتوزع 20 ألف نسخة شهريا وبدأ إصدارها عام 1985 ثم انتقل مركزها في العام التالي إلي اسطنبول، وصحيفة المرأة والعائلة وتوزع 60 ألف نسخة، ولهم دار نشر كبيرة يرأسها أستاذ بكلية الإلهيات في جامعة أنقره بقسم أصول الدين وهو متزوج من كريمة أحد كبار مشايخ الطريقة النقشبندية، وتدعو الرؤية التي تمثلها هذه الصحف إلي عدم تقليد الغرب في نظمه وتقاليده وإلي الانضمام للعالم الإسلامي وليس إلي الاتحاد الأوربي، ص 50.

(1) حوار المؤلف مع محمد فرنجه أقدم طلاب النور الأحياء وفق ما أفادنا إحسان قاسم الصالحي مترجم كليات رسائل النور وقد التقيته في اسطنبول بوقف العلوم الإسلامية التابع لجماعة النور، حيث كان شاهدا علي المناقشات التي دارت بين المجموعة الإسلامية في تركيا من أجل الاستقلال بحزب سياسي وقال: إن " أربكان " وكان رئيساً للغرف التجارية وقتها قال: إنه لا بد من استشارة شيخه في اسطنبول.

كتاب " **رياض الصالحين** " ويقرأ منه وهناك كتاب آخر اسمه " **رامز الأحاديث "** Ramizu, L - Ehadis وهو مكتوب بالعربية وله شرح بالتركية ألفه الشيخ " ضياء الدين جومشخانوي " الذي كان شيخاً لـ " محمد زاهد أفندي كوتكو " وألف هذا الكتاب بالتركية والعربية.

تقدس المجموعات النقشبندية الدولة الإسلامية بتأثير الإسلاميين من الجماعات والحركات المعاصرة علي الصوفية التركية، وكانت مجموعة اسكندر باشا " تؤيد " أربكان " حتي عام 1990 ثم اختلفت معه وارتبطت بحزب الوطن الأم الذي أسسه " تورجوت أوزال " أيام وجوده، **ولكنها صوتت لحزب العدالة والتنمية في الانتخابات الأخيرة،** وكان الشيخ " أسعد جوشان " تناقش مع " كوركوت أوزال " بشأن تأسيس حزب سياسي إسلامي يعبر عن الطريقة النقشنبدية ولكنهم قرأوا الواقع ووجدوا أن هذا لن يكون في صالح المسلمين في تركيا. وأنشأوا بدلا من ذلك حزب " الوطن الأم " **أي أن أهم حزب تركي بعد عام 1983 كان نتاج تشاور بين سياسي وبين شيخ طريقة صوفية هي النقشبندية** وهو مايؤكد عمق التأثير الصوفي في الحياة السياسية التركية وعبر الحزب داخله عن أربع اتجاهات وهي:

- الإسلاميون:

ويمثلهم " سليمان جندز " وهو الآن في حزب العدالة والتنمية و " حسن جلال جوزال " الذي كان وزيرا للتعليم والتربية. وكان يصدر مجلة " ترجمان " وقد استقال من السياسة بعدئذ، وهم من بقايا حزب السلامة الوطني.

- ليبراليون:

ويمثلهم مسعود يلماظ وهؤلاء هم من كان يمثل الاتجاه اليميني في حزب العدالة.

- محافظون:

" محمد كتجلر " والذي كان وزيراً في الحكومة قبل أن يصل حزب العدالة والتنمية إلي السلطة.

- يساريون:

قطاع منهم ترك اليسار وتبني الأفكار الليبرالية أو الكمالية وهم من بقايا الاتجاه الاشتراكي لحزب الشعب الجمهوري[1].

2 - جماعة " أضي مان " ADIYAMAN:

واتجاه هذه الجماعة من الناحية السياسية يختلف دائماً فهم أيدوا في بعض الأحيان " الحزب الوطني القومي " الذي تزعمه " ألب أصلان توركش "، و " الاتحاد الكبير " الذي يرأسه " محسن يازجي أوغلو " وفي بعض الأحيان أيد بعضهم " أربكان " وبعضهم أيد أحزاباً أخري مختلفة، **وهذه الجماعة شعبية جداً ومنتسبوها من المواطنين العاديين ولعبت الجماعة دوراً كبيراً في هداية هؤلاء الناس وإدخالهم في الطريقة**، واشتهر عن شيخها " محمد راشد أفندي " بأنه يخلص الناس من الخمر والحياة الكريهة والذي يواجه مشكلة ويريد التخلص من هذه الحياة يذهب إلي الشيخ، فدور الشيخ هنا مركزي في الخلاص من الآثام والعادات السيئة، **وتصدر الجماعة مجلة اسمها " سمرقند "** وهم يفضلون هذا الاسم، وحتي المحلات التجارية يسمونها باسم " **بخاري "**

(1) راجع في تكوينات حزب الوطن الأم الذي سمح بوجوده بعد انقلاب 1980 جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا 1983 - 1991، م. س. ذ، ص 19.

أو سمرقند " غالباً تيمنا باسم الشيخ " بهاء الدين النقشبندي "، ومعظم المنتسبين إلي الطريقة يدخنون السجائر لأن الشيخ كان متسامحاً في هذه المسألة[1].

3 - جماعة يهي للي YAHYALI[2] :

هذه الجماعة يرأسها " علي رمضان أفندي " ومنذ نشأتها الأولي أيدت " أربكان " والفكرة الملية " الملي جوروش " وهي تؤيده لأنها تري أنه يمكن أن يقود إلي تأسيس الدولة الإسلامية، **ولهم مجلة اسمها " يني دنيا "** أي الدنيا الجديدة - يعتنون بالطلاب **ولهم وقف " الصفة "** ويساعدون الطلاب ويشجعونهم علي الدراسة خاصة الطلاب الفقراء وغير القادرين في المدن التركية أومن الضواحي أو من الأناضول.

4 - جماعة إسماعيل أغا أو " تشارشمبا ":

صوفية نقشبندية مركزها في " تشرشمبا فاتح " وهي ضاحية في اسطنبول ويرأسها الشيخ " محمود الأفندي الأوفي "، نسبة إلي " أوف " وهي ضاحية بمدينة " طرابزون " بالبحر الأسود، وهذه الجماعة تهتم بالمدارس الدينية والشعارات والملابس الدينية الإسلامية مثل الجبة والسروال والعمامة للرجال والشرشف للنساء **وهم ممن كانوا يؤيدون " أربكان "، وعندما استضاف " أربكان " وهو رئيس وزراء المشايخ ورجال الدين كان " الأوفي " واحداً منهم وذهب لمقر رئاسة الوزراء بالجبة والسروال،** وهم يتجولون بشكل واضح في مدينة " اسطنبول " الرجال والنساء بل والأطفال بملابسهم العثمانية التقليدية، **فهي تعبير عن**

(1) حوار المؤلف مع عمر توقات بمدينة اسطنبول عام 2003 م.
(2) وهي ضاحية ضمن منطقة " قيصري ".

التمسك بالتقاليد العثمانية التي يرونها تقاليد إسلامية، ويمكن القول إنهم تعبير عن بعث " تيار العثمانية الاجتماعي "، وهم يهتمون بإحياء الحروف العربية الإسلامية في تركيا[1].

فتحوا في كل مدينة بل وضاحية مدارس رسمية وغير رسمية ودرسوا علوم الشريعة للطلاب، وكل من يدرس في هذه المدارس حتي الأطفال يرتدي الثياب التقليدية العثمانية وهم يهتمون بكتاب الشيخ " سرهندي " المكتوبات " ويدرسه الشيخ للطلاب ككتاب رئيسي بعد القرآن الكريم والحديث كل يوم[2] وهم يفهمون الصوفية كما بلورها وجددها الشيخ " أحمد الفاروقي السرهندي في كتابه " المكتوبات " الذي وفق بين التصوف والفلسفة والشريعة مستنداً لعقيدة أهل السنة[1] وهم يكرهون

(1) وقد قمت بزيارتهم بمسجدهم في منطقة " تشرشمبا " بفاتح اسطنبول ولاحظت أنهم يتشددون في استخدام اللغة العربية حتي إن الساعة المعلقة علي حائط المسجد كانت إشاراتها وأرقامها مكتوبة باللغة العربية.

(2) وفي حوار المؤلف مع الشيخ " حسن أفندي " ممثل الجماعة في منطقة " تشرشمبا " بفاتح أفادنا أن الجماعة لا تتعاطي السياسة ولكنها تشارك في التصويت والشيخ يترك لهم حرية الاختيار ولكنهم لا يعطون للشيوعيين وفي الانتخابات الأخيرة نوفمبر 2003 صوتوا للعدالة والتنمية والسعادة، وغير المكتوبات " هناك الرسالة القدسية للشيخ " مصطفي عصمت أفندي " والرسالة الخالدية لمولانا خالد البغدادي، وللجماعة دور في ألمانيا وهولندا وإنجلترا، ولها ممثلون في كل المدن التركية، وعندهم تشاور بين الشيخ وممثلي الجماعة في المناطق وهناك لجنة تحت رئاسة الشيخ " محمود الأوفي " تقوم بتفسير للقرآن اسمه " روح الفرقان "، وهم يفصلون فصلا تاما بين الرجال والنساء، ويسهلون أمر الزواج علي قدر المستطاع وينصحون أن لا يزيد المهر علي 600 دولار، وهم يحبذون عدم تعدد الزوجات لقوله تعالي{ج ج ج ج ج ج ج ج} [النساء: ١٢٩]، وعن الإصرار علي ارتداء الملابس العثمانية قال **لنا نحن قاومنا وتمسكنا بهذه الملابس وهذا الإصرار أنتج ثمرات مفيدة جدا ونفع المسلمين أكثر من غيره لأن معناه رفض القيم الغربية الحاكمة والمسيطرة، وقال نحن نتبع السنة ظاهراً وباطناً واجتناب البدعة.**

(1) المكتوبات هو أهم المصادر التي تستند إليها الجماعات الصوفية التركية وهو يضاهي لدينا في العربية

التلفزيون ولا يدخلونه في بيوتهم مثل التيارات السلفية المتشددة في مصر والعالم العربي والإسلامي، كما أنهم يجتنبون أشد الاجتناب للموسيقي ويبتعدون بشدة عن أي شئ له صلة بالغرب والثقافة الغربية فهم يحافظون علي أنفسهم مما يعتبرونه غول الاكتساح الحضاري الغربي، **وتشير المعلومات التي حصلنا عليها إلي أن " عبد الله جول " رئيس الوزراء التركي ينتمي لهذه الطريقة .**

5 - جماعة " طوب بشلر ":

يرأسها " عثمان نوري طوباش باشا " وهي تهتم بالمدارس في جمهوريات آسيا الوسطي والقوقاز، ولهم مدارس عديدة هناك بل إن لهم كلية في موسكو ذاتها، أيدوا " تورجوت أوزال " في عهده كما أيدوا " أربكان " أحياناً وأيدوحزب السعادة في الانتخابات النيابية الأخيرة، وهي جماعة غنية وشيخها من رجال الأعمال وأسرته معروفة بالتجارة ولهم شركات كبيرة معروفة في تركيا مثل " بهاريا " و " وبولارس " وللجماعة مجلة اسمها " أولتن أولك " ALTINOLUK، **الكاتب الرئيسي في جريدة " يني شفق " أي الفجر الجديد وهو " أحمد طاشكترن " من**

" إحياء علوم الدين " للغزالي الذي حاول التأسيس لعلوم الدين وإحيائها في مواجهة الهجمة الصوفية العاتية التي أشرنا إليها من قبل في العالم الإسلامي منذ القرن العاشر الميلادي وحتي القرن الخامس عشر خاصة منطقة الأناضول ويزاوج كتاب الشيخ " أحمد الفاروقي السرهندي " الإمام العالم الرباني مجدد الألف الثاني بين الصوفية والشريعة لضبط هرطقات الصوفية بميزان الشريعة، وهو في ذلك أشبه بالجهد الذي قام به " ابن قيم الجوزية " في كتابه " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " علي كتاب " منازل السائرين " لأبي إسماعيل عبد الله الأنصاري المعروف بالخواجه الأنصاري، وراجع أحمد الفاروقي السرهندي، المكتوبات، بدون بيانات نشر ولكن مكتوب عليه باللغة التركية Carsamba - Fatih, Istanbul.

الجماعة وهو المسئول عن تحرير ونشر مجلة الجماعة[1] **.**

6 - أوشك جيلار أو الضوئيون[2] :

مؤسس الجماعة من أسرة " أوشك " واسمه " حسين حلمي أوشك " وتوفي ويرأسها اليوم رجل أعمال اسمه " أنور أورن " وهو يملك مجموعة شركات اسمها " إخلاص هولدنج " و " إخلاص فيناس " وهي عبارة عن مصرف وجريدة يومية اسمها " تركيا " ولهم تلفاز TGRT وهي نقشبندية صوفية وعن الجماعة قال " سليمان ديمريل " رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية التركية " إنها لا تنتظر في المحطة، أي قطار يأتي فهي تركب فيه " فهم براجماتيون يؤيدون من يحقق لهم المصلحة **وهم يؤيدون أي حزب في السلطة حتي ولو كان يسارياً، فهم مثل جماعة الأحباش في لبنان، ويكفرون سيد قطب والمودودي ويقولون عنه: " مردودي ".**

وينتسبون للشيخ السرهندي ويقولون: إن المسلمين اليوم تفرقوا علي ثلاث فرق: الأولي: علي طريق الصحابة الكرام وهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون ونحن نسميهم أهل السنة أو السني، الفرقة الثانية الشيعة، الفرقة الثالثة وهم الوهابية **الفرقتين الأخيرتين يقال لهما " الفرقة الملعونة "**

(1) عن الجماعة راجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلي الحركة الإسلامية التركية، م. س. ذ ولكنه يطلق عليها " إيرينكوي " وذكر أن الدركاه " تدار بواسطة أربعة أشخاص ولكنه ذكر أن مؤسسها " محمود سامي رمضان أوغلو " ونرجح المعلومات التي استقيناها عن الجماعة حيث يعتمد محمد نور الدين علي المصادر المكتوبة وليس المقابلات الميدانية.

(2) حوار المؤلف مع عمر توقات في اسطنبول وأشار محمد نور الدين في كتابه إلي تشعبات النقشبندية ولكنه لم يشر إلي الدركاه التي أشرنا إليها وذكر " دركا هـ منزيل " وهي نقشبنديه كردية مع الحقوق الكردية لكنها ضد النزعة الانفصالية، علاقتها جيدة مع الوطن الأم ومع حزب الحركة القومية (اليميني المتطرف) وراجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة، ص 40.

فهم يكفرون المسلمين ويصفونهم بالشرك وأثبتوا هذا في كتاب لشيخهم بعنوان " القيادة والآخرة " وهو يقول " إن الذي فرق المسلمين وشتتهم إلي هذه الفرق هم اليهود والإنجليز وهم يكفرون الشيخ " محمد بن عبد الوهاب " ويدافعون عن الإسلام التركي الذي يدعمه العسكر والدولة والذي يعتمد صيغة معدلة من الإسلام تتفق مع الأوضاع العلمانية لتركيا ولهم علاقة قوية مع " البيرلويون " وهم ينشرون كتب الصوفية والماتريدية والأشعرية ويوزعونها مجاناً في جمهوريات آسيا الوسطي وفي أفريقيا وآسيا مثل " عمدة المقامات " و " بركات أحمدية " ومنتخبات " ولهم مستشفيات استثمارية كبيرة ويقدم تلفزيونهم الرقص والأغاني وساعة للتفسير كل يوم[1].

ثانيا: الطريقة القادرية:

أكبر جماعة قادرية في تركيا هي جماعة " حيدر باشا " ومقرهم في اسطنبول وشيخهم يترأس حزباً سياسيا اسمه " حزب تركيا المستقلة " ويبدو أن المؤسسة العسكرية هي التي تقف وراء إنشاء الحزب لينازع حركة " الملي جوروش " وحزب العدالة والتنمية " وأعضاء الحزب يقدسون الجيش ويصلون به إلي مرتبة المحرمات التي لا تمس والمثير للاستغراب أن الجيش وقياداته يرفضون رئيس الحزب الذي هو شيخ أكبر جماعة قادرية في نفس الوقت وهو حدث فريد في تاريخ تركيا العلمانية التي تفصل بين الدين والسياسة وتحرم استخدام الدين في السياسة. **فلأول مرة يجمع شخص واحد بين مشيخة الطريقة الصوفية ورئاسة حزب**

(1) المعلومات التي اعتمدنا عليها هنا استقيناها من لقائنا الميداني مع الأستاذ / عمر الفاروق توقات الباحث المتخصص في شئون الطرق الصوفية في تركيا. وقد حققنا معلوماته بسؤال مصادر أخري في تركيا لها صلة ومعرفة بهذه الجماعات والطرق.

سياسي في وقت واحد. ولجماعة " حيدر باشا " قناة اسمها MELTEM **أي نسيم** ولها جريدة يومية اسمها " **الرسالة الجديدة** " MESAY YENI وهم يعطون منحاً لطلاب الجامعات ويقدمون لهم إمكانية السكن والأكل **وللجماعة أيضاً مجلة شهرية اسمها " إجمال "**، وقد تختلف بعض المجموعات القادرية عنهم في الفكر السياسي فيؤيدون " أربكان " أو الطيب أردوغان " [1].

ثالثا: الطريقة التيجانية:

بعد شهر من فوز الحزب الديموقراطي الكاسح في الانتخابات البرلمانية دعا زعيم الطريقة التيجانية " كمال بيلاف أوغلو " إلي إلغاء الأتاتوركية والعودة للإسلام، إلا أن حكومة الحزب الديموقراطي ساقته للمحاكم، لكنها اضطرت لتأجيل المحاكمة بسبب التظاهرات العنيفة التي قام بها أنصاره خارج قاعة المحكمة وكان أغلبهم من الشباب، والتيجانية طريقة تأسست في القرن الثامن عشر في الجزائر ثم جاءت لتركيا في وقت غير معروف وكان السلاطين يدعمونها، وهي تتركز في أنقرة والأناضول الأوسط، في مايو عام 1951 م وزعت التيجانية منشوراً في "

(1) أشار محمد نور الدين في كتابه **قبعة وعمامة** إلي الطريقة القادرية وأشار إلي أنها تري في أمريكا عقبة كبيرة أمام إحياء القومية التركية، وهي تعارض الدخول إلي الاتحاد الأوروبي، ص 41 وعن صحيفة إجمال أشار جلال معوض إليها بقوله " صحيفتا الإجمال " و " النصح " وتصدران عن أحد أفرع الطريقة القادرية منذ عامي 1983 و 1986 علي التوالي ويصل حجم توزيع الأولي (70 ألف نسخة) والثانية (30 ألف نسخة) شهرياً وبدأ إصدارهما في " طرابزون " بمنطقة البحر الأسود حيث لا تزال تتواجد مراكزها الرئيسية، وتوجد مكاتب وفروع لها في " أنقرة " وقونيا " ويغطي توزيعهما مدنًا عديدة تركيه أهمها اسطنبول، وتشير أفكارها إلي أن الحضارة الغربية ليس لديها الجانب المعنوي لتحقيق سعادة الإنسان وتركز علي الجانب المادي بينما الإسلام يملك القدرة الثقافية والمعنوية لعلاج هذا القصور من خلال التربية المعنوية للنفس البشرية وتنظيم الرغبات والمطالب وإشباعها في إطار أخلاقي مشروع، ص 49.

أنقره " تضمن البرنامج السياسي لها والذي يدعو لوضع دستور جديد يقوم علي أساس الشريعة الإسلامية، ونددت بعباد الأصنام وأتاتورك " واعتبرته المسئول عن ذلك، وعمد التيجانيون إلي الحفلات الدينية لنشر أفكارهم واعتمدوا العنف في تحطيم ومهاجمة تماثيل أتاتورك " ففي مدينة " كير شهر " حطم أتباع التيجانية تمثالاً لأتاتورك واعتبروه ملحدا، ووقع 70 اعتداءً علي تماثيل " أتاتورك " في مختلف أنحاء البلاد وهو ما جعل الدولة تصدر قانونا تمنع بعض نصوصه الطعن أو الإساءة " لأتاتورك " وبموجب هذا القانون حكم علي زعيم التيجانية بالسجن، ولكن أتباعها استمروا في المقاومة فنظموا اجتماعا حاشدا عام 1951 في مسجد " أنقره الكبير " استمر شهرا وهو ما جعل الحكومة تعتقل حوالي ألف منهم، وتشكلت لجنة تحقيق حكومية لمعرفة بواعث نشاط هذه الحركة والتي أفادت بوجود علاقة بينها وبين الإخوان المسلمين وبين حركة " فدائيان إسلام "، وقدرت بعض المصادر عدد المنتسبين للتيجانية في تركيا أوئل الخمسينيات بـ 300 ألف عضو موزعين في مختلف أنحاء البلاد[1].

(1) عن التيجانية راجع الدراسة المهمة: إبراهيم خليل العلاف، خارطةالحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة علي موقع:
www. alwatanvoice. com/pulpit. php?go=articles&id=34756

رابعا:الطريقة المولوية [2]:

ينتسبون لجلال الدين الرومي وهم أصلاً قادريون ومنهم جراحون كانوا يهتمون بالطب النبوي **ولهم زوايا تحت عنوان " نقابات " لدعم وتطوير الموسيقي الصوفية** الكلاسيكية والتي حازت شهرة واسعة بين المثقفين العلمانيين وبعض المغنيين والمغنيات والفنانين والفنانات الذين لهم توجه ديني وتعبر هذه الطريقة عن طبيعتهم ومزاجهم، **وهم لا يتدخلون أبداً في السياسة**، وعادة ما يرأس حلقات الذكر مغن معروف خبير متخصص في الموسيقي الكلاسيكية التركية **ومن أبرزهم " أحمد أوزخان " وهو رجل** مُصَلٍّ ومتدين، وقد قدم أغنية صوفية بعد تدخل الجيش عام 1980 م بحضور " كنعان إفرين " وهو ما أغضبه فقال الرجل " السياسة لا تهمني، أنا قدمت فناً لا صلة له بالسياسة ولا أي شئ "، والطريقة معروفة في أمريكا ولها أنصار هناك وزوايا وتكايا خاصة فتحت في عهد شيخها السابق " مظفر أوزداك ".

* * *

(2) عن المولوية راجع الكتاب الضخم والمهم عبد الباقي جلبنارلي، **المولوية بعد جلال الدين الرومي**، ترجمة عبد الله أحمد إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلي للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2003.